

الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر عشية الاحتلال د/ توفيق دحماني - قسم التاريخ - جامعة الجزائر

يسعدني أن أشارك اليوم، في هذا الملتقى، بمداخلة في أحد محاور الموضوع المذكور أعلاه. وأبدأ مداخلتني بالقول: لا بد أن أثنى في البداية، بحسن اختيار المنظمين للملتقى، الذي طرحوه للبحث، والمتعلق بـ: "الوضع الصحي في الجزائر خلال الاحتلال".

إن طرح هكذا مواضيع للبحث في ملتقى وطني، تبدو جديدة، وتدل على رغبة جلية من منظميه على الاعتناء بـماضي البلاد، وبمستقبلها أيضا، لأن البحث في الماضي وحده غير ذي نفع، ما لم يكن ذلك بهدف الاستفادة من دراسة ذلك الماضي في المستقبل. وهو ما يبدو أن المنظمين قد عملوا به، وهم يطرحون موضوع الملتقى للبحث.

وإذا كانت كل المحاور المقترحة مهمة، وجديرة بالبحث، فإن المحور المتعلق بـ: "الوضع الصحي في الجزائر قبل الاحتلال"، هو الذي ارتأيت أن أطرقه، بما تيسر لي من وقت قصير إلى تاريخ الصحة.

وقد أردت أن أطرق هذا الموضوع وفق منهج تركيبي تحليلي ونقدا؛ ذلك أنني وفي إعدادي لهذه المداخلة عدت إلى المصادر المحلية، فلم أجد ما يشفي غليلي. ثم طرقت باب الأرشيف، فلم أجد الشيء الكثير؛ ذلك أنه سواء الوثائق المحفوظة في الأرشيف الوطني للجزائر (بئر خلد)، أو مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية لا تطرق هذا الباب، ولا تتعرض إلى الأوضاع الصحية، إلا على شكل إشارات وتلميحات بسيطة. كل هذا حتم علي العودة إلى ما كتبه الفرنسيون، رغم ما فيه من تحامل كبير على الجزائر في العهد العثماني. (1) وكل هذا بهدف تبرير الفرنسيين لاحتلالهم البلاد الجزائرية، وكذا الادعاء بنشر الفكرة المعروفة القائلة: نشر الحضارة، ورسالة الرجل الأوربي الأبيض وغيرها.

فالمراجع الفرنسية، ومن أخذ عنها تصف الجزائر العثمانية، بأنها شهدت تفهقرا اقتصاديا واضمحلالا اجتماعيا، واكمه سوء الأحوال الصحية والمعاشية خلال القرنين الرابع عشر، والخامس عشر، بعد الحروب الطويلة وما نجم عنها من خراب للمدن والعمران. وفي هذا الصدد قال ناصر الدين سعيدوني عن بعض المدن: "أصبحت دلس وهنين مجرد خرائب". (2) وأن العثمانيين عند مجيئهم وجوا العديد من الأمراض المتجنرة. (3)

ويذكر الكثير من الفرنسيين أن: هذه الأرض كانت محرومة، وكان سكانها متجمعين ومكسدين فوق بعضهم البعض إلى حد كبير، ويتضورون جوعا، والبلاد مخربة، وتعج بالأوبئة والجوائح المفزعة والمهولة. والجزائر كانت تدفع ضريبة فاحشة من شتى الأمراض المعدية. التاريخ ممثلى بالأمثلة والنماذج المؤلمة والحزينة في تلك الفترات البائسة، ألم كان يحل بغيته ويشكل فجائي، ومقدار حذته كان مرعا وفضيحا ومخيفا.

ثم يضيفون بأن العثمانيين، كانوا يستخفون بالأخطار، ويستتهرون بها. أما فرنسا فأرض المؤسسات السخية المعطاءة، والأفكار المؤثرة المحبة للغير، سكبت على الأرض الإفريقية جزءا من طاقتها وعزمها؟! (4)

ويذكر أن الجزائر في العهد العثماني ما لبثت أن تحسنت أوضاعها طيلة القرن السادس عشر والنصف الأول من القرن السابع عشر، بعد قدوم الأندلسيين الموريسكيين، واستقرارهم في الجهات الساحلية، لاستصلاح الأراضي وتعمير المدن والقرى. فتوسع عمران مدن: الجزائر، ودلس،

وتنس، وشرشال، والقليعة، والبليدة، والمدينة، ومليانة، وغابة، وقسنطينة، ووهران، وتلمسان، ومستعالم، وقلة بني راشد، ومازونة، وزمورة، وغيرها. وانتشرت إلى القرى والعمارة الريفية القريبة منها. (5)

ولم يطل هذا التحسن كثيرا، إذ عرفت البلاد ركودا اقتصاديا وانكماشاً عمرانياً، طيلة النصف الثاني من القرن السابع عشر، والنصف الأول من القرن الثامن عشر. وبعد ذلك ساءت الأوضاع الاقتصادية، وأفقرت الأرياف والمدن من سكانها، وتكاثرت الأمراض والأوبئة الفتاكة، مما أثر سلباً على حالة السكان الصحية والمعيشية، وترك أثراً سيئاً على الأوضاع الاجتماعية. (6)

وابتداء من أواخر القرن الثامن عشر، تضاعف عدد سكان المدن، وتناقص سكان الأرياف. مما تسبب في ضعف قوة الأوجاق (7) وأدى هذا الوضع إلى تناقص عدد التجار، وقدرة الحرفيين والصناع، وانقار الأرياف إلى اليد العاملة الزراعية.

والظاهر أن ذلك التدهور يرجع إلى انتقال العدوى، وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة، بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط، وانفتاحها على أقاليم السودان، وعلاقتها التجارية مع أوروبا، ارتباطها الروحي بالشرق الإسلامي. (8) وما ساعد على انتشار هذه الأمراض واستيطانها في البلاد أيضاً، وجود المستنقعات بالسهول الساحلية، وحول المدن الكبرى.

ويذكر "مارشيك" (Marchika) أن الحروب، والقوافل التجارية، والحجاج، وكل أسباب تنقل السكان، كانت تنشر الأمراض، وتزيد من ظهورها ودوامها بشكل مستمر. كما أن تهاون الحكومات وعدم اكترائها إزاء الطاعون، غالباً ما كان يظهر للعيان. ولم تكن سلطات الإيالة تعتمد ترتيب صحي، عدا عن السفن والبضائع والمسافرين المصابين بأعراض الحساسية والتلوث العدوي. أما باقي المدن العربية، فلا يمكن تخيل مدى قذارتها! ولم تكن سلطات الإيالة تعتمد ترتيب صحي، عدا عن السفن والبضائع والمسافرين المصابين بأعراض الحساسية والتلوث العدوي. أما باقي المدن العربية فلا يمكن تخيل مدى قذارتها. (9)

وبالرجوع إلى المعلومات التي أوردتها بعض المصادر، نستنتج أن الأوبئة والعقاقير المحضرة، كانت غير متوفرة، وحتى الصبيلة الوحيدة في مدينة الجزائر، كانت لا تتوفر إلا على بعض العقاقير والحشائش. وكان الباش جراح "القائم" عليها يجهل مواصفاتها وفوائدها الطبية. (10)

1- وباء الطاعون:

شكل وباء الطاعون، أخطر مرض عانى منه الجزائريون خلال العهد العثماني، وتعرضت إلى ضرباته الحادة، كل العناصر الأجنبية المقيمة في البلاد. فقد تكرر ظهوره في شكل تواتر حلقات متعاقبة، مع الأوبئة المستوطنة بالمنطقة، وتسببت في انهيار ديموغرافي، وأدت إلى تدهور الوضع الصحي، الذي أثر بدوره سلباً، على اقتصاديات البلاد، تاركة نشوهات خطيرة في البيئة الاجتماعية. (11)

ولقد أثر وباء الطاعون على الأوضاع الصحية في الجزائر العثمانية، وارتبط بالعوامل الأخرى، التي أثرت على الوضع الصحي للسكان مثل: الاضطرابات الجوية، والتذبذبات المناخية، وفترات الجفاف والفيضانات، بالإضافة إلى اجتياح الجراد، وما نتج عن الزلازل والحرائق، وما ترتب عن كل ذلك من تخريب وتدمير. (12)

ومما زاد الأحوال الصحية سوءاً أن الحكام العثمانيين، لم يهتموا بميدان الصحة، ولم يعطوها الأهمية التي تستحقها؛ فمن ذلك أنهم لم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد تنامي هذه الأمراض. (13)

أما أماكن العلاج فكانت محصورة حول بعض المصحات والملاجئ مثل: زنفة الهواء، وملجأ الأمراض العقلية المخصص للعثمانيين، بالإضافة إلى مرستانات رجال الدين المسيحيين، التي كانت تتفق عليها النول الأوربية. (14)

وما يمكن ملاحظته أن الأوبئة، كانت تتكرر كل عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما، وأنها في بعض الأحيان استمرت لوضع سنوات كما حدث خلال أعوام: 1798-1784.⁽¹⁵⁾ وأدى وباء علمي 1792-1798، بالإضرار بجميع جهات البلاد.

كما اشتدت حدة الأمراض، وعمت جميع أرجاء البلاد بين سنتي: 1804 إلى 1808. ويذكر أنه وقعت جائحة أو وباء سنة 1816 واستمرت حتى سنة 1822 حيث انتشرت في كل أرجاء إفريقيا الشمالية؛ من طرابلس حتى مراكش، ومن البحر الأبيض المتوسط حتى تخوم الصحراء. كانت قاتلة، وبقيت خالدة في الذاكرة الشعبية للسكان.⁽¹⁶⁾ ففي سنة 1817 في مدينة الجزائر لوحدها، تسبب الوباء في قتل 2048 ضحية خلال شهر واحد فقط، وكان يؤدي بحياة حوالي 150 ضحية في اليوم في بعض الأحيان. وفي سنة 1818 وصل مجموع عدد الموتى إلى 7951. وفي سنة 1819 مات خلال ثمانية أشهر 2927. وفي سنة 1822 سنة أقول الوباء وصل عدد القتلى 2272 أيضا.⁽¹⁷⁾

وبين سنتي 1817-1818 انتشر الوباء في الجزائر، وقضى على أكثر من 14000.⁽¹⁸⁾ وهكذا أصبح وباء الطاعون من مظاهر البيئة في الجزائر، وتكرر ظهوره باستمرار.⁽¹⁹⁾ وقد كان مرتبطا بحركة الأسطول الجزائري، واحتكاكه الدائم بموانئ المشرق، التي كانت مصدرا لمختلف أوبئة الطاعون، حتى عدت الجزائر من مراكزه الدائمة وبيئاته المفضلة. وهذا ما عبر عنه "بنزك" «Panzac» بقوله: "وباء الطاعون من الظواهر المستمرة والدائمة في الجزائر العثمانية".⁽²⁰⁾

ولقد أصبحت عدوى الطاعون، تنتقل بسرعة في جميع جهات البلاد، ومسافة انتشاره قدرت بحوالي 200 إلى 400 كلم سنويا. وقد يستغرق انتقالها أحيانا أسابيع قليلة، لاجتياح منطقة ما، تبعا لشدة، والكثافة السكانية في المنطقة التي تتعرض له.⁽²¹⁾ وقد تكرر وباء الطاعون، وبلغ حدا كبيرا، ففي مدينة الجزائر توزع في الفترة المدروسة، كما يلي:

- بين سنتي: 1778-1804، انتشر في جميع الجهات، وكان شديد الوطأة على السكان.
- وبين سنتي: 1805-1815، زاد في حدته، حدوث المجاعات، التي تعتبر آثارها الديموغرافية، أخطر من بعض الحروب.

ولقد كانت أوبئة القرنين السابع عشر والثامن عشر، أكثر حدة وشدة من تلك التي اجتاحت الجزائر أثناء القرن السادس عشر. إذ تشير العديد من التقارير العسكرية والمراسلات القنصلية، إلى استمرار "الوباء الفتاك"، أو "الوباء الخطير جدا".⁽²²⁾ لفترات متعاقبة تناهز الواحدة منها 15 إلى 20 سنة، وتعقبها عدة فترة خمود لا تتجاوز الست سنوات.⁽²³⁾

ب- الكوارث الطبيعية:

١- الزلازل:

لقد رافق اشتداد الطاعون وانتشاره بالقطر الجزائري خلال العهد العثماني، سلسلة من الهزات الأرضية العنيفة والشديدة، والتي تسببت في تخریب بعض المدن وتحطيمها. وأسفر عنها في أحيان كثيرة خسائر في الأرواح والممتلكات.⁽²⁴⁾

ولقد تعرضت السواحل الجزائرية إلى عدة زلازل عنيفة وقوية، خلفت عددا من القتلى، وخسائر جسيمة، ومن أهمها.

1- زلزال 1790: حدث هذا الزلزال بوهران، وكان ذا فائدة جلييلة على الجيش الجزائري، الذي كان يحاصر المدينة، تمهيدا لاسترجاعها من أيدي الإسبان.⁽²⁵⁾

2- زلازل 1818 و 1825: تكررت الزلازل في الجزائر، بحيث عمت أغلب المدن الساحلية والمناطق القريبة من مدينة الجزائر. ومنها الزلزال، الذي ضرب الأطلس البليدي، وأدى إلى هدم الدور والمساكن، وخراب مدينة البليدة، (26) والذي استمرت هزاته الارتدادية من 2 إلى 6 ماي 1825 وأدت إلى هلاك أكثر من 7000 قتيلا. (27)

وقد تركت هذه الكوارث الطبيعية، نتائج سلبية على الوضع الديموغرافي للبلاد، وعلى الحالة الصحية. كما أثرت في نفسية السكان، وأدت بهم إلى النقمة على الحكام، والثورة عليهم، محملين إياهم سبب البلاء والمأساة.

٢ - الفيضانات والحرائق:

اعتبرت الفيضانات والحرائق، من أهم الآفات والكوارث، التي أضرت بالجزائر خلال العهد العثماني، بحيث تسببت في حدوث مجاعات، واختفاء الأقوات، وموت الكثير من السكان. وقد اعتاد الناس حدوث المجاعات إثر سنوات القحط والجفاف، وفي أعقاب زحف الجراد. الأمر الذي كان يؤدي إلى انتشار الأمراض وتكاثر الأوبئة. ومن الفيضانات التي عرفتها الجزائر في أواخر العهد العثماني، تلك التي تميزت بفداحة خطرها وذلك خلال سنوات: 1791، 1812، 1816. (28)

ونتيجة لهذا تضررت أوضاع الجزائر الاقتصادية. ومما زاد الطين بلة سوء تصرف بعض الحكام، وانعدام الأمن، وشيوع الاضطراب، الذي ارتبط بظهور الأمراض الفتاكة، والحوادث الطبيعية المدمرة. الأمر الذي أدى إلى تشتت كثير من سكان الجزائر وهلاكهم، واشتداد الضائقة الاقتصادية، بفعل غلاء الأسعار، وشح الأقوات، وإتلاف المزروعات. (29) وبذلك تناقص عدد سكان، وبقيت مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية غير مستغلة، وتحول جزء من هذه الملكيات إلى مؤسسة الأوقاف. (30)

٣ - الجراد والجفاف:

عرفت الجزائر آفات أخرى، إضافة إلى الزلازل والفيضانات، تمثلت في غزو الجراد، (31) وانتشار الجفاف. (32) مما أضرب بالجزائر اجتماعيا واقتصاديا وصحيا، وتسبب في اختفاء الأقوات، وهلاك كثير من السكان.

٤ - المجاعات:

نكر عبد الرحمن الجبالي أن: الجزائر ما كادت تنتهي وتستريح من ويلات الحرب المحزنة، حتى فاجأها الجنب والقحط بكامل البلاد، وأصبحت تعاني من أزمة مجاعة حادة وخائفة، ارتفعت فيها الأسعار، وغلا المعاش غلاء فاحشا، حتى بلغ يومئذ سعر الصاع الجزائري؛ وهو يزن 34 كيلو غرام تقريبا من البر. فمات الناس جوعا، واستمر الحال على ذلك بضع سنين. وكان محمد الكبير باي وهران، يأتي بالقمح من بلاد أوربا، ويوزعه على الأهالي مجانا، وأغفى المزارعين والفلاحين من دفع الضرائب والخراج عن أراضيهم. (33)

وقد عرفت الجزائر خلال العهد العثماني عدة مجاعات، كان أثرها وخيما على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والصحي للبلاد. ويمكن الإشارة إلى مجاعة 1794 التي اتسمت فيها الأوضاع بالتردي، والفوضى، وغلاء الأسعار، وغياب الأقوات. (34) وفي بداية القرن الموالي، فقدت المواد الغذائية في الأسواق نتيجة المجاعة، وارتفعت الأسعار، حتى غدا القمح يباع بأثمان مرتفعة، وأشد كثير من الناس يقولون:

القمح يابا هي اللون ** من شبعك لا زيادة

أنت قوت كل مسكين ** بك الصلاة والعبادة. (35)

وبعد احتلال الجزائر من قبل الفرنسيين، الذين ادعوا نشر الحضارة في أوساط الجزائريين. وما يدل على ذلك نورد قول الماريشال "بيجو"، أن فتح الجزائر لن يكون مثمرا، ما لم يتم استعمارها. وأن المستعمر متقد دائما، وأقل فخرا من انتصاره في المعارك، إلا عند ارتكازه على بعض الأشياء المفيدة لفرنسا بالدوام:

"La conquête serait stérile sans la colonisation... Je serai donc: colonisateur ardent, car j'attache moins de gloire à vaincre dans les combats, qu'à fonder quelque chose d'utilement durable pour la France."⁽³⁶⁾

لكن رغم هذا الزعم، فإن له ما يحضه، بدليل انتشار العديد من الأمراض في أوساط الجزائريين، ذكرت في الدراسات الفرنسية، ومن تلك الأمراض نذكر:

1- حمى المستنقعات (Paludisme): فحسب الكاتب الفرنسي "جان ترمسال"، فإن الأطباء الفرنسيين العسكريين، كانوا في حدود سنة 1830، منعزلين عن حمى المستنقعات، التي كانت من بين الأمراض المستوطنة المتجنرة (endémique). وفي سنة 1834، بدأت الأبحاث العيادية الإكلينيكية، وعلم المداواة والعلاج، تتم بعناية عن طريق: "التقماط"، أو بالتقاف حول قماش، يجهز من قبل الأقارب، وبصبيغ متعددة ومتقطعة، مستمرة ومتناوبة. ثم أنشئ دفتر خاص أو قائمة كينية (Quinine) لمعالجة التعففات، والعدوى المستنقعية. وهذه الأعمال سجلت تاريخا مهما في تاريخ علاج حمى المستنقعات، واستنقحت الجدارة والشاء عليها، وتكرست بعرفان وطني، ثبت في قانون 25 جوان 1888.⁽³⁷⁾

2- الطاعون (La peste):

3- التيفوس الطفحي (Typhus exanthématique):

4- حمى التيفوس (fièvre typhoïde):

5- الكوليرا (Le choléra):

6- الزهري (La syphilis):

7- مرض السل (La tuberculose):

8- الحمى الراجعة (Fièvre récurrente):

9- حمى البحر الأبيض المتوسط (Fièvre méditerranéenne):

10- الحصبة (Rougeole):

11- مرض (KALA AZAR): مرض ينتقل عن طريق الكلب، تعفن ناب ينقل بالبرغوث،

وهذا المرض كان نادرا في الجزائر.

12- دمل الشرق (Bouton d'Orient):

13- الرمد الحبيبي (La trachome):

14- خمول القرحة (Chancre mou):

15- الجدري (La variole): الذي تعود أصوله إلى إفريقيا.⁽³⁸⁾

وأخيرا نختم مداخلتنا بالقول: إنه وفي غياب معطيات تاريخية مأخوذة من مصادر محلية جزائرية عربية، وكذا الوثائق الأرشيفية والمخطوطات، فإن نظرتنا عن الأوضاع الصحية والمعاشية، والكوارث الطبيعية، تبقى نسبية ومشوهة طالما أنها مأخوذة من المراجع الأوروبية، والفرنسية بالذات، التي تحاملت على تاريخ الجزائر من كافة مناحي الحياة العامة، وما هذا الموضوع إلا جزء من كل، تعرض للتحريف والتزييف، بغية تحقيق المآرب الاستعمارية كما نكرنا أعلاه.

وللتدليل على ذلك، أختتم مداخلاتي بما جاء في أحد المصادر؛ وهو كتيب: مذكرات أسير الداي، قتل أمريكا في المغرب، لـ "جيمس ليندر كاتكارت"، الذي ذكر بأن الجزائريين كانوا يعالجون أنفسهم، بأن يلقوا بأجسامهم في البرك والمستنقعات، للمداواة بالعلق. فنذكر أنه مرا يوما فوق حصانه، بأحد الأشخاص، وقد التصقت بجسده أزيد من ثمانين علفة.

ومن هنا جاعني التساؤل التالي، وبكل روح علمية نقدية، كيف بإنسان يمر على صهوة جواد بشخص مغمور بالماء، ويتمكن من إحصاء عدد العلفات الصغيرة المذكورة؟؟؟

كل هذا يؤكد ما ذهبنا إليه أعلاه؛ من تحامل المصادر والمراجع الأوربية على الجزائر في العهد العثماني، وإظهار شتى المساوئ التي ألصقوها بالعثمانيين وحكمهم للجزائر. (39) وفي ظل عدم وجود مصادر تنحض كل ما ذهب إليه الفرنسيين، فإننا لا نملك إلا أن نذكر ما جاؤوا به، والأخذ به وبتحفظ شديد، ولو أننا نعلم أن الشعب الجزائري المسلم كان في ظل الحكم العثماني يطبق ما جاء من تشريعات، وضعها الإسلام في مفهوم التربية الصحية، والاعتناء بالنظافة وغيرها.

هوامش:

1 يذكر الكتاب الفرنسيين أن الجزائر كانت تعاني من الحروب والغزوات والنهب وهجمات البرابرة وإهمال الأتراك وتهوانهم. والفرنسيون، عند نزولهم في سيدي فرج يوم: 13 جوان 1830، ورثوا تركة كبيرة. وحسبهم أن كان كل شيء كان يسير في جهة تخريب ما بناه القدماء، وترك القون تتداعى حتى أشرفت على الانهيار وانتشار البؤس والشفاء، ولم يكن حظ السكن، إلا في جني محاصيل الحبوب التي تشعرهم بالسعادة.

وهذا ما جعل الحاكم العلم الفرنسي للجزائر "ستيق" (Th. Steeg) يقول بأن: "كل شيء عدا بعض المدن الممنوعة المدافع عنها كانت جيدة، إلا السوء ضد بلاد البربر، التي كانت متروكة للفوضى. اقتصاديا كان الجذب والقحط، وسياسيا الهرج والاضطراب". انظر/

- Th. STEEG, ancien Gouverneur général de l'Algérie, 5^e Conférence Nord-Africaine, Rabat, 4 Juillet 1928.

2 ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المعاصرة، م.و.ك، 2 ج، الجزائر 1988: ج2، ص123.

3 Dr JEAN TREMSAL, UN SIÈCLE DE MÉDECINE COLONIALE FRANÇAISE EN ALGÉRIE (1830-1929), 2eme Ed., IMPRIMERIE. ALOCCIO, 4, RUE ANNIB, Tunis, 1929, p7.

4 عن هذه الأقوال وغيرها انظر/

- Dr JEAN TREMSAL, op.cit, p7.

5 ناصر الدين سعيدوني: دراسات، مرجع سابق. وينظر كذلك/ - مذكرات أحمد الشريف الزهار، نقيب الأشراف، نشر أحمد توفيق المنني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974م، ص: 80.

6 ناصر الدين سعيدوني: نفسه.

7 أوجاق أو "الوجاق": تعني باللغة العثمانية، موقع النار أو الموقد، وهو اسم تنظيمي مستعار للجيش الإنكشاري العثماني.

8 انتقلت إلى الجزائر مختلف الأمراض كالكوليرا «Le Cholera»، والتيفوس «La Typhus»، والجدي «La variolle»، والطاعون «La maladie à bubons».

9 J. MAHCHILKA La peste en Afrique septentrionale. Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830.

10 ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق ص: 124.

11 فلة القشاعي موساوي: وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، دوراته وسلم حذته وطرق انتقاله، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، عدد 1 سنة، 2001، ص: 134.

12 نفسه. ولمزيد من التفاصيل ينظر/

- Said BOUBAKER: "La Peste dans les pays du Maghreb attitudes face au fléau et impact sur les activités commerciales 16, 18^{ème} siècles", In, Revue d'Histoire Maghrébine, 2^{ème} année, n° 79-80, Mai, 1995.

- Fella El Kachai MOUSSAOUI: "Situation sanitaire et démographique du Beylik de Constantine 1791-1837", In, Les actes du 7ème symposium international d'études ottomanes sur la société et l'état dans le monde ottoman, publications fondation Témimi pour la recherche scientifique et l'information, Zaghuan, Tunisie, Septembre 1998.

¹³ لم يفرض نظام الحجز الصحي لا على السفن ولا على الأشخاص، باستثناء محاولة صالح باي قسنطينة فرض حزام صحي حول غلبة ومنطقها، ليمنع انتقال العدوى إلى مدينة قسنطينة عام 1787.

¹⁴ ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص: 125.

¹⁵ نفسه: ص: 126.

¹⁶ J. MAHCHILKA, op.cit, p 310.

¹⁷ Dr JEAN TREMSAL: op.cit, p 5.

¹⁸ ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص: 127.

¹⁹ فلة القشاعي موسلوي: وباء الطاعون، مرجع سابق، ص: 136.

²⁰ «La peste est une constante de l'Algérie ottomane». Voir - Daniel Panzac: *La peste dans l'empire ottoman 1700-1850*, Ed. Peters Leuven, 1985, p: 212.

²¹ فلة القشاعي موسلوي: مرجع سابق، ص: 138.

²² تشير إلى ذلك التعبيرات الآتية: "نتج عن الوباء موت كثير حتى خلت المدن والقرى"؛ "قحط عظيم ووباء مفرط"؛ "وباء مات فيه خلق كثير"؛ "مجاعة قحطت الجزائر قحطا عظيما"؛ "وكان الوباء وقد اشتعلت ناره... وقت الضحى وصل مائة جنازة...". "وباء هلك فيه من الناس حتى عجزوا عن دفن أموات لهم"؛ "خلت الدور وعمرت القبور"؛ "الطواغين المتتالية هي استمرار للطاعون الأعظم وهي أقل فتاكة منه..."؛ "وباء عظيم الحيوية الكبيرة أو القوية علم البرويو"؛ "خلال طاعون 1786 أخذت البلاد وأفنت العباد"؛ "القحط الشديد ومسغبة عامة"؛ "الوباء جعل الناس يكلون بعضهم بعضا"؛ "عدد الموتى يزداد من يوم إلى آخر"؛ "أثناء الطاعون الجارف خلت الديار والمنازل"؛ "كان يدفن في الحفرة الواحدة المائة من الناس". انظر / - فلة القشاعي موسلوي: مرجع سابق ص: 136 - أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص: 144 - 151. - مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1979، ص: 39.

²³ - BOUBAKER Said: op.cit, p: 323.

- Berbrugger: *un mémoire sur la peste en Algérie depuis 1552, jusqu'au 1819*, In *exploration scientifique de l'Algérie*, Paris imp. Royale TII 1847.

²⁴ كزلزال مدينتي الجزائر والمدينة سنة 1632، والذي قالت بشأنه بعض الروايات أنه أهلك جل سكان مدينة الجزائر، وزلزال عام 1665 والذي صاحبه خسوف الشمس وتأثرت به حتى السواحل الأوربية بالإضافة إلى زلزال 1676 الذي دام عدة أشهر، وتسبب في الثورة ضد الداي الذي نقم عليه الأهالي واتهموه بسوء الطالع. انظر / - ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص: 128.

²⁵ كان من البشائوات الذين بذلوا جهودا في فتح وهران كل من حسن باشا (1563)، ومحمد قوصة (1606)، والباي إبراهيم (1687) وغيرهم. ولذلك تحمس الكتاب والشعراء، فألهبوا حماس الناس بشعارهم. وفي العام 1707 حشد الباشا محمد بكداش جيشا، حرر فيه المدينتين التحرير الأول سنة 1708، واستنشر الناس وفرحوا. ولكن الإسبان احتلوا مرة أخرى لمدة 60 عاما أخرى، ثم عرّضت الجزائر وصممت على إزالة الفرحة الإسبانية من جسمها؛ فحشد الباي محمد بن عثمان الكبير قوات عسكرية كبيرة وأجبر الإسبان على الجلاء عنهما بصفة نهائية عام 1792. انظر مثلا / - أحمد الشريف الزهار: مصدر سابق، ص: 155.

- A. Devoux: "Quelques tempêtes à Alger", in, *Revue Africaine*, T5, Alger, 1871, pp: 339-352.

²⁶ أحمد الشريف الزهار: مصدر سابق، ص: 155.

²⁷ ناصر الدين سعيدوني: مرجع سابق، ص: 129.

²⁸ نفسه.

²⁹ ناصر الدين سعيدوني: "قحط مدينة الجزائر"، في، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المعاصرة، م. و. ك، ج2، الجزائر، 1988، ص: 143.

³⁰ ناصر الدين سعيدوني: دراسات في الملكية العقارية، م. و. ك، الجزائر، 1984 ص: 71.

³¹ كانت أكثر سنوات زحف الجراد، ضررا، خلال أعوام قبيل فترة الدراسة: 1760-1778-1779-1780. انظر المرجع نفسه.

³² انتشر الجفاف في البلاد؛ سنوات: 1800، و1807-1816-1819. انظر / - نفسه، ص: 130.

³³ تاريخ الجزائر العام، ج3، ج.م.ج، الجزائر، 1982، ج3، ص: 261.

³⁴ وقيل ذلك نذكر: مجاعة: 1778-1779م، التي قيل عنها أن الناس كانوا يموتون بالآلاف في شوارع مدينتي الجزائر وقسنطينة. وكذلك الشلل بالنسبة لمجاعة 1787، و1789م، التي كان من أسبابها الجراد مع الوباء. انظر / - أحمد الشريف

الزهار: مصدر سلبق، ص: 144. - محمد صالح العنتري: سنين القحط والمسغبة ببلاد قسنطينة، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم: 2330.

³⁵ راجع / - مسلم بن عبد القادر: ختمة أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر، أو تاريخ بليّات وهران المتأخرين، تحقيق رايح يونر، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص: 64. وانظر كذلك - محمد صالح العنتري، المصدر نفسه، ص: 43.

³⁶ *Alger, le 22 février 1841 Rapporté par DE BAUDICOUR, Histoire de la colonisation de l'Algérie, p. 59.*

³⁷ *Dr JEAN TREMSAL: op.cit, p 10-11.*

³⁸ *J. L. G. Guyon: Histoire chronologique des Epidémies du Nord de l'Afrique depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours.*

- J. MAHCHILKA *op.cit.*

- Dr JEAN TREMSAL: *op.cit.*

³⁹ انظر في ذلك / - جيمس ليندر كاتكرت: منكرات أسير الداي - كاتكرت قتصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.